صحائف المجد والخلود

الفن المصرى القديم

— ١ —

تمهيد :

تؤلف الكتب ، وتحبر الاوراق ، يتبارى فى اخراجها ابناء الامة ذات الفن أو التاريخ . ومصر ، أم التاريخ ، التى نهل منها جميع الوجود ، ومصدر الفن ، والذى غذى بنعمته ونوره العالم من مبدأ الحياة . مصر ، التى هى البقعة الوحيدة التى هبط عليها طائر الفن الجميل ، ونزل على أرضها بوحى العظمة والعرفان ، أفقر الأمم جميعاً اعتزازاً بفنها وتاريخها .

وكم مجهود من مجهودات المصريين الحاضرين بذل فى سبيل تحقيق تلك الغاية وتمجيدها ؟ ! وكم هو عدد المؤلفات التى وضعتها أيد مصرية عن الفن المصرى القديم ؟ ! وهذه جهود الافرنج تملأ مصر بحثاً ودرساً ، وتغشى أرضها تنقيباً واستكشافاً . ثم هذه مؤلفاتهم عن الآثار المصرية وما فيها من فن وقدرة وجمال تغمر الدنيا جميعاً . بل إن فى متحفنا المصرى وحده مكتبة تجمع نحو تسعة عشر الفاً من بعض الكتب التى وضعت بلغات مختلفة عن آثار مصر .

الاجانب هنا وهناك ، هم الذين يأخذون وحدهم بشئون تاريخنا . وهم الجادون فى دراسة حضارتنا القديمة ، ينشرون ببحوثهم فيها على العالم ما كان لمصر فى التاريخ القديم من فضل . ونحن ، نحن الذين كنا أولى من غيرنا بتلك الدعاية ، وأجدر من كل الناس دراسة لآثارنا وأخذاً بمعالم تاريخنا ، لا نتقدم الى الميدان بأقصر يد . ولا تنهض للاعتزاز بمجدنا بأيسر حال .

أليس هذا من بواعث الأسف ؟ ثم ليست حالنا فى ذلك أدعى الى النقد والسخرية ؟

نعم هناك بعض جهود مصرية ، لا تنكرها . وبعض أياد وطنية ، على التاريخ المصرى ، لا يجب أن نجحد فضلها . ولكنها بضعة ضئيلة . أملنا أن تتجسم وتتضاعف ، حتى تفيض على الناس خيراً .

*

ولعلنا جميعاً ، نوقن فى أنفسنا بأننا مهما بذلنا فى خدمة وطننا الجهود ، ومهما ملأنا الأرض جداً وسعياً ، ووصلنا أركان القطر ذكريات وآثاراً ، فلن نبلغ الى غاية الخلود والعظمة ما بلغ أجدادنا المصريون القدماء ، الذين بهروا العالم اعجابا واعجازا

ولقد نفخر بهم ، ونعتز بمخلفاتهم ، ونشير اليهم كلما أعوزتنا الحقيقة الى اثبات شخصيتنا ، وأخذتنا النشوة بالتيه . نفخر بهم ، ونتحدث بمجدهم ، ولانخجل من انفسنا أن لايكون لنا ، نحن ابناء الحاضر ، فى ذلك فضل . بل نقف موقف الغراب الذى لبس ريش الطاووس فما كان ذلك يرفعه عن أن يظل غرابا . . .

أولئك الأجداد العظام النابهون ، لهم علينا ذمة ، ما أحرى بنا أن نفى دينها ، ونؤدى حقوقها . فهم لم يتركوا لنا ما تركوا ليلزمونا الفخر بهم جزافا ، ونحن قعود . ولكن لنكون جديرين بأن نرث عنهم ذلك المجد ، وبررة بجميل ذلك التراث الموهوب

فهذا لو نعمل جميعاً لوصل حلقات هذه العظمة ، واضعين نصب أعيننا دائما هذه العبارة الخالدة

إن سئلنا ماتركنا بعدهم ماذا نجيب ؟

مصدر الفنيات

كان فريق من علماء الغرب ينسبون الاسبقية فى تاريخ الفن الجميل الى الاغريق . وانها المصدر الذى تدرجت عنه ثقافات البشر وتلما كان يعترفون بفضل لمصر .

وبالرغم من ان البحوث الأثرية والاستكشافات قد نشرت على الافكار نوراً بأن الاغريق انما أخذت قسطاً كبيراً من ثقافتها عن مصر التى سبقت حضارتها حضارة الاغريق بأكثر من ثلاثة آلاف عام ، فان بعض آراء المتعنتين نحو مصر ظلت الى حين ، على نكران فضل مصر وعدم اقتباس الامم عنها .

وقد يكفى ان تدلل على ذلك بتلك الكلمة النزيهة التى انصف بها مصر « السير دنيسون روس » (Sir E. Denison Ross) مدير مدرسة العلوم الشرقية بانجلترا ، فى الكتاب الذى قدمه علماء الانجليز الى حضرة صاحب الجلالة فؤاد الاول ملك مصر ، باسم « الفن المصرى فى جميع العصور » (The art of Egypt Through The Ages) والتى دحض بها تلك الآراء العتيقة . حيث قال :

« مصر هى مهد الفنون . ولولا بقاء كثير من آثارها الاولى حتى يومنا هذا ، لقامت معلوماتنا عن التاريخ الاول للفنون على الحدس والتخمين . وكلما زدنا علماً باعمالها الجليلة تبين لنا ما تدين به الفنون المتأخرة لمصر ، وزاد جلاء . خذ مثلا الابحاث الاخيرة التى جرت فى صقارة ، فانها أثبتت نهائيا أن للعمود المزمارى (الذى يشبه الناى او المزمار) Fluted- Column انما تطور

ووضعت فكرته بواسطة الفنانين المصريين (١) ومن جهة اخرى فان تأثير مصر فى آراء البشر وأفكارهم ليس أقل شأنا من تأثيرها فى عالم الفنون ، وسجلاتها تعتبر أقدم كنز فى تاريخ الانسانية بأجمعها

« وحينما بدأت مصر تسترعى انتباه الغرب كان شارحو مدنيتها هم رجال اللغة والمؤرخون . وأما قيمة آثارها ، ومبانيها من معان ، فكانت من الأشياء التى تكاد لاتعرف . وقد حلت رموز الكتابة الهيروغليفية وقرئت . ولكن ماكان عندنا من تعصب موروث من ثقافتنا القديمة وتفكيرنا الحديث ، عاقنا عن أن نقدر فنا كهذا الفن ، كل مافيه غريب علينا . ولقد كان حتما على عالم الفنون أن يجاهد زمنا طويلا ، كى يتخلص من براثن الفكرة الاغريقية ، ويقترب من آثار القراعنة البديعة ، ويلقى عليها نظرة بريئة خالية من التحيز . »

وإليك كلمة اخرى للاميره بيبسكو (Princess Bibesco) وقد يذكر القراء اسم سموها حيث تردد ذكره فى مؤتمر الطيران الذى عقد بمصر اخيرا . وهى عقيلة رئيس المؤتمر — فى رسالة لها بعنوان « يوم مصر » (Jour d'Egypte) إذ قالت عند ذكرها للعمود المزمارى فى سقارة الذى سبق الكلام عنه :

« لقد وجدت مهد الفن الاغريقى . فان « إمحتب » وهو مهندس الملك « زوسر » أول من استعمل الحجارة الرملية فى مصر . وجاء بين كتابات المصريين القدماء أن هذا الفنان رفع الى صفوف الآلهة لقيامه ببناء الهياكل . وليس هناك مايدعو للدهشة فى ذلك ، لأن عليها مسحة قدسية ، ولأنها أجمل بكثير من تلك المشاهدة فى الاكروبول ، التى تشابهها . وقد تفوقها من أنها أتم تهذيبا . ويرجع تاريخ هذه الاعمدة المصرية الى ماقبل « فدياس » بثلاثين قرنا .

« وأنى لأحس ، عندما أنظر اليها ، بذلك الصلف الذى كان يركب رءوس من سبقونا . وهامصر قد فازت أخيرا بقصب السبق . أما هؤلاء الذين تحيزوا للفن الاغريقى ضد الفن المصرى ، فيجب أن يخفضوا رءوسهم من الخزى بعد استكشاف أعمدة صقارة »

(يتبع) احمد يوسف

بالمتحف المصري

(١) كان نوع هذا العمود منسوباً الى الاغريق — Doric Column — على انه من ابتكار ثقافتهم حتى استكشف أخيراً فى صقارة بواسطة المرحوم المستر سيل فرث ، وظهر أنه من ابتكار الامة الثالثة المصرية

مقـــدمة الاعاصير

للشاعر القروى رشيد الخورى

نزيل البرازيل

تعليق

كانت نفسى تجمجم منذ شهرين بكلمة تريد أن تعلن بها الى جمهور القارئين صدور هذا الديوان منذ دفع إلى لأكتب عنه كلمة فى « مجلة الزائرين » — وقد أهداه صاحبه اليها لأن مقدمته آراء أدين بها ، وأحب أن يدين بها شعراؤنا وكتابنا بين يدى زماننا هذا ! ولكن التوانى فى إخراج الفكرة حين ولادتها وحرارتها ، طالما جر الى موتها ونسيانها وخمود دواعيها ، وهذا ما حدث لى بشأن الكلام عن هذا الديوان .

بيد أن كلمة الاستاذ الكبير عبد الوهاب عزام ، عن هذا الديوان فى عدد مضى من الرسالة قد جددت فى نفسى حرارة الافكار التى فى مقدمته ، مما تقاضانى أن أسرع الى الكتابة عنها .

ولئن كانت كلمة الدكتور عزام كافية فى إعطاء القارئ صورة عن وطنية صاحب « الاعاصير » وعروبيته وتساميه . . الخ فانى أرى جمهور قراء الرسالة بحاجة الى أن يعلن اليهم عن الافكار التى فى مقدمته النثرية ، فان فيها دعوات ثائرة ، من العار ألا يتردد صداها فى نوادى الادب فى الشرق العربى وسط عصر الجهاد والفداء والزلزلة ! وليس من الانصاف للذى هتف بها على بعد الدار ونأى الشقة ، أن نمر بها كما نمر بأية فكرة أدبية ، فاننا نعتد ذلك عقوقاً لهـــذه النفس البرة التى لم تطرف عينها خوالب الدنيا الجديدة ولم تشغلها عن النظرة الرائية الآسية للوطن الاول . . .

وعجيب أن يكون القلب الخافق بهذه الوجيعة ، والبوق الهاتف بأصواتها التى سيسمعها القارئ خلال ما تنقله من السطور ، نزيل ديار فاتنة بأفانين حياتها وحريتها ، مما يجر الى نسيان الوطن الاول . بينما نجد الكثرة الراقدة بين فكى الحوادث ، وتحت مناسمها من